

الرعاع ضلالة و خدعة ... فأصبح الجهل باهر الرايات، ظاهر الآيات، فأعدمو العلم وفضله، واستردلو العرفان وأهله، وانصرفوا عن الحكمة زاهدين، ومنعوها معاندين، ينفرون الطباع عن الحكماء، ويطرحون العلماء العرفاء والأصفياء، وكل من كان من في بحر الجهل والحمق أولج، وعن ضياء المعقول والنقول أخرج، كان إلى إوج القبول والإقبال أوصل، وعند أرباب الزمان أعلم وأفضل.

و جاهل قبل قرع الباب قد ولجا كم عالم لم يلج بالقرع باب منى

وكيف ورؤساؤهم قوم عزل من سلاح الفضل والسواد، عارية مناكبهم عن لباس العقل والرشاد... فلما رأيت الحال على هذا منوال، من خلو الديار عمن يعرف قدر الاسرار، وعلوا الاحرار، وأنه قد اندرس العلم وأسراره، وانطمس الحق وأنواره، وضاعت السير العادلة، وشاعت الأراء الباطلة، ضربت عن أبناء الزمان صفحا، وطويت عنهم كشحا، فألجأتني خمود الفطنة، وجمود الطبيعة لمعاداة الزمان، وعدم مساعدة الدواران، إلى أن انزويت في بعض نواحي الديار، واستترت بالخمول والانكسار، منقطع الأمال، منكسر البال، متوافرا على فرض أؤديه، وتفريط في جنب الله أسعى في تلافيه، لا على درس ألقيه، أو تأليف أتصرف فيه، إذ التصرف في العلوم والصناعات، وإفادة المباحث ودفع المعضلات، مما يحتاج إلى تصفية الفكر وتهذيب الخيال، عما يوجب الملل والاختلال، واستقامة الاوضاع والاحوال مع فراع البال،⁽¹⁾ و من أين يحصل للإنسان مع هذه المكاره التي يسمع ويرى من أهل الزمان، ويشاهد مما يكتب عليه الناس في هذا الاوان، من قلة الإنصاف وكثرة الاعتساف، وخفض الاعلى والافاضل، ورفع الادانى والا راذل الخ" ثم استشهد برباعى نظمه بعض إخوانه جاء فيه ما ترجمته: "لا حاجة الاكلام في جواب كل سؤال، فإن العين البصيرة تلتمس العذر لشفة الإنسان عند التزام السكوت" ثم تمثل بكلام للإمام على (عليه السلام)، في الصبر على قلة الانصار وتطبيق الدنيا وإيثار الآخرة على الأولى.⁽¹⁾

(1) الأسفار الأربعة، ج 1، ص 2، 3.

